أدب الأطفال في التراث

بقلم : محمد حيان حافظ
سورية

أصبح الاهتمام بثقافة الطفل في عالمنا العربي والإسلامي من الضرورات الملحة نتيجة ما يواجهه في وقتنا الحاضر من تحديات ومن غزو ثقافي وإعلامي . ونتيجة التغيرات السريعة التي تحيط بالطفل والتي لا يكون مستعدا دائما لمواجهتها، ولا يكون مسلحا لمقاومة ما تحدثه فيه من آثار سيئة من مثل خلخلة نظامه القيمي واضطراب تصوراته وفقدان ثقته في نفسه وفي مجتمعه .

وإذا كانت الشعوب والأمم تلجأ دائما إلى تراثها الحضاري كلما أعوزتها الوسيلة للمقاومة، فحري بنا أن نلجأ إلى تراثنا العربي والإسلامي الزاخر لإحيائه وتطويره وتوظيفه في تعليم الأطفال وتنشئتهم بما يضمن لهم شخصية قوية ومتوازنة لمواجهة مختلف التحديات وجميع أشكال الانحراف.

أدب الأطفال وكتب التراث

إن كتب التراث فيها الكثير من الوصايا والمواعظ والمراثي الخاصة بالأطفال، كما ألفت بعض الكتب أو الرسائل الجامعة لأخبارهم وما قيل عنهم مثل كتاب أنباء نجباء الأبناء لابن ظفر الصقلي، وكتاب الدراري في ذكرى الذراري لابن العديم .

وفي التراث أيضا كثير من النصوص الأدبية التي تتصل بالطفولة وإن لم تكن مقصودة للأطفال مثل كتاب كليلة ودمنة وكتاب ألف ليلة وليلة . وقد استغلا على مر العصور، لإسماعهما للأطفال أو استمداد أشياء منهما، وبخاصة ألف ليلة وليلة، إذ كان مصدرا ثريا للكثير من الحكايات والخرافات التي تقصها الأم أو الجدة على الأبناء . وكان لهذه الكتب أثر مباشر في ظهور أدب الطفل . وهنا لا بد لنا من أن نذكر أنواعا من التراث الأدبي للأطفال .

أنواع التراث الأدبي

التراث الديني :

ما من شك في أن التراث الديني شكل نبعا هاما للقيم التي أراد الكتاب بثها وغرسها في آذان الناشئة، فكانت قصص القرآن وسير الأنبياء مادة خصبة بالإضافة إلى إعادة كتابة تاريخ الدعوة الإسلامية بأسلوب مبسط . والسيرة النبوية وسير الأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم

التسليم، وسير الخلفاء والصحابة رضوان الله عليهم، تبث في الأطفال قيم السلوك وعظمة الإيمان القوي .

الحكايات الشعبية

والحكايات الشعبية فيها أنماط مختلفة من الخيال الجاد والخيال المؤثر في تنمية خيال الطفل، وبها من عناصر التشويق ما يستطيع النفاذ إلى قلب الطفل وعقله، ويشد انتباهه واهتمامه وينمي خياله وتفكيره . ومن أمثلة السير الشعبية العربية والإسلامية للبطولة، هناك سير عظماء الإسلام ومجاهديه، منها: سيرة الخلفاء الراشدين، وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص، وسعد بن أبي وقاص، وفارس بني حمدان ، وغيرهم كثير .

وهناك السير العربية التي تنتقى للأطفال، بما تضمه من رموز الشجاعة والإقدام والتضحية في سبيل القيم والمبادئ العربية، ومنها، سيرة عنترة بن شداد، وأبي زيد الهلالي وسيف بن ذي يزن. وآلاف من سير الأبطال والشجعان في العصور الإسلامية والعربية المختلفة .

التراث الأدبي :

الأدب أكبر روافد التراث، وأهم مصدر استوحى منه الكتاب المعاصرون قصصهم الموجهة للأطفال، فكانت أهم المصادر كتاب كليلة ودمنة، فما من كاتب إلا وأخذ قصص الحيوانات وصاغها في أساليب تتنوع وتختلف من واحد إلى آخر، إلى درجة أن قصة الأطفال صارت هي القصة التي تجري أحداثها على ألسنة الحيوانات والطيور .فلم تعد الحيوانات كائنات رمزية، بل صارت قيما أحادية الاتجاه .

و ألف ليلة وليلة، وما ضمه من غريب القصص وعجيب الأخبار لم يفلت من أقلام الكتاب، فكانت المغامرات المثيرة لعلي بابا والسندباد البحري خير مادة لكتابة قصص الخيال .

كذلك هنالك الأساطير وما تقوم به من تنمية الخيال لدى الطفل، وتزيد من قدراته على تصور ماضيه وحاضره . وبالطبع ليس كل ما في الأساطير يصلح للأطفال، بل لابد من اختيار ما يتناسب مع المعتقدات الإسلامية ومع القيم العربية الأصيلة .

المقامات :

أغلب مقامات الهمذاني والحريري كانت مادة طيعة للكتاب صاغوا من خلالها قصصا للأطفال، لأن كل قصة احتوت على حدث قصصي فيه طرافة، وحتى تكون اللغة في مستوى يناسب الأطفال تخلصت المقامات من المحسنات البديعية التي تميزها في متونها الأصلية .

نوادر البخلاء والمغفلين :

إن قصص الجاحظ في البخلاء وما جاء في مختلف كتب النوادر وأخبار الحمقى والمغفلين، كانت مادة اقتبسها الكتاب وطوروها لما لها من روح الدعابة والنكتة، فتلعب دورا ترفيهيا .

في التراث كثير من النصوص الأدبية التي تتصل بالطفولة وإن لم تكن مقصودة للأطفال مثل كتاب كليلة ودمنة وكتاب ألف ليلة وليلة .

إن ثقافة الطفل لا تكون ثقافة إيجابية وبناءة مالم تعمل على تكوين المواطن الصالح ذي الشخصية المتكاملة

أطفالنا والتراث والتبعية الثقافية

حتى نحمي أجيالنا القادمة من الإحباط والعجز والتبعية، علينا أن نعيد إليها ثقتها بنفسها، وبقدرتها

على النهوض والعطاء والإبداع، واللحاق بالحضارة الحديثة، ورفدها بالإسهامات العلمية والتقنية الجديدة، وهذه الدفعة المعنوية لا تكون إلا بإحياء التراث العربي المغيب وإبرازه، حتى يجد أطفالنا في آبائهم وأجدادهم قدوة ومثلا، ويستمدوا من إنجازاتهم العظيمة ثقتهم بأمتهم، ويشعروا بأن لهذه الأمة سبقا وفضلا على الحضارة الحديثة .

لقد وقف أدب الأطفال العربي طويلا عند التراث البطولي لقادة الفتح والجهاد وفرسان المقاومة العربية والإسلامية ضد موجات الغزو الخارجي التي داهمت أمتنا عبر تاريخها الطويل، وهو جانب يستحق الاهتمام والتركيز، في وقت نواجه فيه محاولات الآخرين للسيطرة على مقدراتنا وتقويض استقلالنا .

إن تقديم التراث لأطفالنا يجب أن يكون من خلال رؤية متكاملة تهدف إلى نقل الحضارة العربية والإسلامية بكل جوانبها المضيئة، لنعكس لأطفالنا الشمول والتوازن المدهش الذي امتازت به حضارتنا عن سائر الحضارات، فالحضارة العربية والإسلامية لم تكن حضارة روحية، أو أخلاقية، أو مادية، أو عملية فحسب، بل كانت كل ذلك معا، وتفوقت في ذلك كله، مما جعلها نسيج وحدها في الحضارات .

التربية .. والطفل

إن التربية هي الوسيلة الأساسية التي تكون شخصية الطفل، إذ عن طريقها يستطيع الطفل أن يتمثل قيم مجتمعه ويحافظ عليها، ولذا كانت الأسرة والمدرسة المؤسستين التربويتين الأوليين في تطبيع الطفل وتنشئته، فإن المربين آباء كانوا أم معلمين، لهم دور أساسي وخطير في اكتساب الطفل قيما أساسية وأصيلة تجعله يتشبث بدينه الإسلامي الحنيف وبلغته العربية وبماضيه التاريخي، الذي يستمد منه العبرة والفائدة للحفاظ على هويته وخصوصيته الثقافية .

فالتربية اليوم عملية واعية تتخذها مختلف الأمم والشعوب لبناء كيانها وتحديد هويتها . وشعوبنا الإسلامية والعربية مطالبة اليوم، وهي في إطار تحد ومواجهة لمختلف التيارات التي تسعى إلى المسّ بشخصيتها، أن تعمل على ربط العمل التربوي بالمستوى المنشود من العناية بثقافتنا وتراثنا الحضاري والإسلامي، وتقديمه بشكل ممنهج وملائم حتى يستفيد منه الطفل، ويعمق خبرته، وينمي حسه ووعيه بالانتماء الديني والوطني .

إن ثقافة الطفل لا تكون ثقافة إيجابية وبناءة مالم تعمل على تكوين المواطن الصالح ذي الشخصية المتكاملة القادرة على استيعاب الخبرات الإنسانية العامة، وتحديد انتمائه التاريخي والمجتمعي للشعور بهويته، وليتم ذلك لا بد من أن تسعى الأهداف التربوية إلى رفع درجة الوعي لدى المتعلمين وتنمية نشاطهم الذاتي وإكسابهم اتجاهات إيجابية نحو ذواتهم ونحو ماضيهم وتراثهم الحضاري . ■

أشهر الرحلات إلى جزيرة العرب
تأليف: د. فوزي خضر

الكتاب السادس في سلسلة أدب الأطفال التي تصدر عن مكتب البلاد العربية لرابطة الأدب الإسلامي العالمية.

يعرض هذا الكتاب بإيجاز الزيارات التي قام بها عدد من أشهر الرحالين العرب المسلمين إلى الجزيرة العربية، ويأخذ من كل واحد منهم وصف جزء من جزيرة العرب ليخرج الطفل في نهاية الكتاب بمعلومات متنوعة عن الجزيرة العربية التي انطلق الإسلام منها إلى العالم جميعا. عرض المؤلف المعلومات في أسلوب حواري سهل بين الشيخ وعدد من الأطفال الذين يشاركون في الحوار بالأسئلة..

وقد رتب الرحالة حسب أسبقيتهم الزمنية وهم: السرقسطي، الهمداني اليماني، المسعودي، الاصطخري ، الهمداني الخراساني، ابن حوقل، المقدسي، الإدريسي، ابن جبير، ياقوت الحموي..